الحمد لله رب العالمين والصلاة والسـلام على رسـول اللـه الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإن الوقائع تثبت يوماً بعد يوم أن نكبة الأمة بالمنافقين تسبق كل النكبات، وأن نكايتهم فيها وجنايتهم عليها تزيـد على كـل النكايـات والجنايات؛ فالكفر الظاهر على خطره وضـرره يعجـز في كـل مـرة يواجه فيها أمة الإسلام أن ينفرد بإحراز انتصار شامل عليها، ما لم يكن مسنوداً بطابور خامس من داخل أوطـان المسـلمين ويتسـمى بأسماء المسلمين، يمد الأعـداء بـالعون، ويخلص لهم في النصـيحة، ويزيل من أمامهم العقبات، ويفتح البوابات.

رأينا ذلك في عصرنا وسمعنا عنه قبل عصـرنا؛ فمنـذ أن افتتح (ابن سلول) طريق النفاق، سارت فيـه من بعـده أفـواج المنـافقين عـبر التاريخ، وفي عصرنا الـراهن لا تخطئ العين ملامح النفـاق الظـاهر المتظاهر مع الكافرين في القضايا الكبرى من قضايا المسلمين.

رأينا ذلك في تركيا قبـل سـقوطها وبعـد سـقوطها خلال أكـثر من ثمانين عاماً، ورأيناه في فلسطين بعـد احتلالهـا منـذ مـا يزيـد على خمسـين عامـاً، كمـا لا نـزال نـرى صـوراً من ذلـك في أكـثر بلـدان المسـلمين الـتي سـلخها المنـافقون لصـالح الكـافرين عن هويتهـا الإسلامية وبنيتها الاعتقادية.

وهــا نحن اليــوم نفجــع مــرات أخــر بمــا يحــدث في أفغانســتان وفلسطين وباكستان والصـومال, والشيشـان والعـراق, وغيرهـا من البلدان التي يتهيـأ المنـافقون فيهـا لجولـة جديـدة من قهـر الأمـة وإذلالها أمام أعدائها بتعليلات ومسـوّغات متعـددة، لا يقـف خلفهـا شـيء من المبـادئ والثـوابت إلا الثبـات أو الوصـول إلى مقاعـد السيادة وكراسي القيادة، التي يهون عندهم في سبيلها كل شيء، ويحل لأجل الوصول إليها كل شيء، ويحـرم دون المسـاس بهـا أي شيء! نعم إنه الكرسي الذي يكاد يُعبد، ويُركع له ويُسجد.

<u>عبد الله</u>:

راقب معي دور النفاق السياسي عبر التاريخ؛ فسـتجد ذلـك الصـنم من ذوات الأربع قابعاً خلـف كـل حركـة نفـاق خائنـة للـه ولرسـوله وللمؤمنين.

وفي عصرنا، وفي ظل غياب الشريعة عن الحكم في الغـالب الأعم من أوطان الإسلام، وفي ظل ضياع الضـوابط الـتي يُختـبر بهـا من يصلح ومن لا يصلح لقيادة المسلمين؛ خلا الجـو لكـل طاغيـة أفَّاك،

من أهل النفاق لأن يركب شعباً من الشعوب بعد الوثـوب إلى سـدَّة الحكم، عبر طرق ومسالك وعرة، يعـرف المنـافقون وحـدهم كيـف يذللونها ويسبرون غورها ويعـبرون من فوقهـا إلى القمـة الـتي لا يسقطهم من فوقها إلا هاذم اللذات.

يقوم المنافقون في كل مرة ينجحـون فيهـا في ركـوب شـعب من الشعوب بدور عدائي مزدوج يستهدف أمرين لا ثالث لهما: اسـتمداد أسـباب البقـاء على القمـة من ظهـير خـارجي مقابـل إمـداد ذلـك الظهير بأسباب استبقاء المصالح في الداخل الوطني, وما عدا ذلـك تفاصيل؛ فكيفية الحكم, ودسـتور الحكم, تمثيـل الفئـات النيابـة عن الشـعب, المعارضـة باسـم الشـعب, الخطـط الخمسـية, المشـاريع التنموية, الصـراعات الحزبية, المعـارك الجانبيـة -خارجيـة أو داخلية- كلهـا قصـة واحـدة والمحصـلة في النهايـة واحـدة, وهي دعـواهم العريضة: {إِنَّمَـا نَحْنُ مُصْلِحُونَ* أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ} (11-12) سورة البقرة.

لا فارق كبير بين نفاق الأمس ونفـاق اليـوم من حيث الجـوهر، أمـا الظروف فقد اختلفت؛ فالنفاق بـالأمس البعيـد أيـام تمكين الـدين كان ذُلاً يستخفي، وضعفاً يتوارى، وخضوعاً مقموعاً يمثلـه عمالقـة أقزام ورؤوس أزلام، حيات وعقارب موطـوءة تكـاد ألاَّ تنفث السـم إلا وهي تلفظ الحياة.

كان تمكين الدين وقتها يمكِّن المؤمـنين من جهـاد أولئـك الأسـافل باليـد واللسـان والقلب وبإقامـة الحـدود، فلا يُـرى أحـدهم إلا وهـو محاصر مكدود، أو محـدود مجلـود, أمـا اليـوم فالنفـاق صـرح ممـرد، وقواعد تتحرك، وقلاع تشـيد، إنـه اليـوم دولة, بـل دول ذات هيئـات وأركــان، إنــه أحلاف وتكتلات وكيانــات، بــل معســكرات ذات قــوة وسلطان, سـلطان سياسي, واقتصـادي وإعلامي وثقـافي، يمـارس الضرار في كل مضمار.

وإننا نخطئ كثيراً عنـدما نظن أن النفـاق الـذي أفـاض القـرآن في الحديث عنه، وأسهب في التحذير منـه، كـان يمثـل مرحلـة تاريخيـة انقضــت بــدخول النــاس في دين اللــه أفواجــاً؛ فالعصــر الــذهبي للبشرية الذي شهدته الأرض أيام الرسالة الخاتمة لم يخـل من ظلم النفاق وظلماته؛ فهل تُعصم من ذلك العصور التالية؟!

قد يُقال إن النفاق وقتها كان مقموعـاً ممنوعـاً فلهـذا كـان يسـتتر من الدين بالدين، وهو اليوم ليس في حاجة إلى ذلك؛ فاليوم مؤمن وكافر، أو مسلم ومرتد.

نقول: إن القرآن الذي أمر النبيَّ -صـلى اللـه عليـه وسـلم- وأتباعَـه بجهاد المنافقين والكافرين سيظل يُتلى إلى يوم الدين, بقول اللـه تعـالى: {يَـا أَيُّهَـا النَّبِيُّ جَاهِـدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَـافِقِينَ وَاغْلُـظْ عَلَيْهِمْ

وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} (73)**سورة التوبة**. **فالآية تدل على أن النفاق سيظل موجوداً وسيظل محسوساً ملموساً من أشخاص تُرى فيهم آيات النفاق**.

والنفاق المقصود في الآية ليس قاصـراً على النفـاق ذي المـرامي السياسية والأهداف التسلطية، بل هو النفاق بكافة أشكاله وصوره عندما يكـون موجهـاً إلى ضـرر الـدين وأصـحاب الـدين، سـواء كـان صادراً من أهـل السياسة أو من أهـل الثقافة أو أهـل الفن والقلم أو حتى بعض المنسوبين للعلم والفتوى في بعض البلدان.

ونحن هنـا لا نجـادل في أن النفـاق درجـات أو دركـات، وأن خطـره يتفاوت بتفاوت كبره أو صغره؛ إذ من النفاق ما هو أكبر مخـرج عن الملة, **ومنه ما هو أصغر لا يخرج عن الملـة، وفي كلا الحـالين فنحن مأمورون بمجاهدة النفاق ولو كان ساكناً بين أضلعنا أو مختبئـاً بين جوانحنـا، ومن ذا الـذي يـأمن النفـاق على نفسـه وقـد خافـه على نفسه الفاروق عمر -رضي الله عنه-؟**! **ومن ذا الذي يضمن الســلامة منه وقد علَّم النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه التعوذ منه؟**!

وهنـا نقـول: **إذا كـان واقـع المسـلمين اليـوم في أكـثر الأحـوال لا يسـمح بجهـاد المنـافقين بإقامـة الحـدود أو الإغلاظ عليهم لكـف شرهم**, **فلا أقل من تعويض ذلك بجهادهم باللسان وما يقوم مقامه من كل وسـيلة تـرد مـا يسـتطاع من كيـدهم للـدين**, **وإلا فـإن ذلـك النفـاق سـيظل يتـوحش ويطغى حـتى يهـدد بهـدم معـالم الإيمـان والدين في كل بلاد المسلمين، والجهاد المطلـوب يشـترط فيـه أن يكون وفق الضوابط الشـرعية والموازنـة بين المصـالح والمفاسـد، المهم ألا ينسحب الترك العـام لجهـاد الكفـار إلى تـرك عـام لجهـاد المنافقين.**[1]

اللهم أذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين, **اللهم اخذل اليِهود وأعــوانهم المنــافقين، اللهم أنــزل الــرعب في قلــوبهم وشــتت شــملهم وفـرّق جمعهم، واجعـل الـدائرة عليهم**, **إنـك أنت القـوي العزيز**, **وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد**, **وعلى آله وصـحبه أجمعين**, **والحمد لله رب العالمين**.

---

1 **مجلة البيان العدد**171 **ص**8 **ذو القعدة** 1422**هـ.**